﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ١١٧﴾ [البقرة: 117]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

بعد أن نزَّهَتِ الآيةُ السَّابقةُ اللّه عن اتِّخاذِ الولد، وأثبتَتْ عدمَ احتياجِه لأحدٍ؛ إذ هو المالكُ الخالق الّذي يخضعُ له جميعُ الخلائقِ، ناسبَ زيادة ذلك بالبيانِ والإفصاحِ عن صفاته العظيمةِ جملةً، وأنَّه إذا قضى أمرًا فإنَّه يكون بعد أمرِه.

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

1) ﴿بَدِيعُ﴾: من الجذر اللّغويّ (بدع)، ولهذا الجذر أصلٌ هو "ابتداء الشّيء وصنعه لا عن مثال"[1]، وهو اسم على وزن (فَعِيل) بمعنى (فاعِل) "فَبَدِيعٌ فَعِيلٌ بمعنى فاعِلٍ، مِثْلُ قَدِيرٍ بمعنى قادِرٍ، وهو صفةٌ من صفاتِه تعالى؛ لأنَّهُ بدأ الخَلقَ على ما أرادَ على غيرِ مِثالٍ تَقَدَّمَهُ"[2]، ويحتمل أن يكون بمعنى (مُفْعِل) اسم فاعل مُبْدِع أي: مُنشِئ "بدعت الشَّيء إذا أنشأته، واللّه ﷻ بديع السَّمَوَات والأَرض أَي: منشئها"[3]، والإنشاءُ هوَ الخلقُ، إلّا أنّه خلق على غير مثال؛ فهوَ "بديعُ السَّماواتِ والأَرضِ، منشئهما على غير حِذَاء ولا مثال، وكلُّ مَن أنشأ ما لم يُسبَقْ إليهِ قِيل له: أَبدَعْتَ"[4] ويحتمل أن يكون من أبنية المبالغة على وزن (فَعِيل)[5].

2) ﴿قَضَىٰٓ﴾: فعل ماضٍ معتلّ الآخر جذره (قضي)؛ لأنّ مضارعَه (يقضي)، وأصل جذره "يدُلُّ على إحكام أمرٍ، وإتقانِه وإنفاذِه لجهته"[6] لقولِه تعالى ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ [فُصّلت: 12] وهو من الألفاظ المشتركة الدلالة، ويتعين معناه بحسب

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بدع).
(2) الزَّبيدي، تاج العَروس: (بدع).
(3) ابن دريد، جمهرة اللّغة: (بدع).
(4) الأزهري، تهذيب اللّغة: (بدع).
(5) القُرطبي، الجَامع لأحكام القرآن: 2/335.
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قضي).

السِّياق الوارد فيه، ومنه "الفراغ من الشّيء بإتمامه حسب المراد أداءً أو تحصيلًا أو إتمامَ عمل"[1] وعموم لفظ القضاء وما اشتقّ منه يأتي بمعنى الحكم[2]، وهو الوارد في الآية، أي: إحكامُ الأمر وإمضاؤه.

3) ﴿كُن﴾: فعل الأمر من (كان)، وهو (كُوْنْ) التقى ساكنان فحُذف حرف العلّة، وأصله (كون) لأنّ مضارعه (يكون)، وقد يكون ناقصًا، وقد يكون تامًّا، والوارد في الآية من الباب الأول، وهو الأشهر والأشيع، وهو "يدُلُّ على الإخبارِ عنْ حدوثِ شيءٍ، إمَّا في زمانٍ ماضٍ، أو زمانٍ راهنٍ؛ يقولون: كان الشَّيءُ يكونُ كونًا، إذا وقعَ وحضرَ"[3].

❁ المَعْنَى الإجْمَاليُّ:

اشتملتِ الآيةُ على صفتين من صفات اللّه سبحانه وتعالى، الأولى: إبداعُ السَّماواتِ والأرضِ من غير مثالٍ سابق، الأخرى: قضاؤه في أمرٍ يتحقَّق بأوانه، ومنِ اتَّصفَ بهذه الصِّفاتِ فكيف يحتاج إلى اتِّخاذِ الولدِ! وإنفاذُ أمرِه سبحانه هو "تمثيلٌ وتشبيهٌ لتعلّق إرادته بإيجاد الشّيء فيعقبه وجوده ... والإيجاد والتّكوين من أسرار الألوهيّة، عبّر عنهما بما يقرِّبهما من الفهم، وهو أن يقولَ للشّيء: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾"[4].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبلاغيُّ:

براعةُ حذفِ المسندِ إليه:

حُذِفَ المسنَدُ إليه في قولِه تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾، وسببُ الحذفِ هو معرفةُ المخَاطَبِ للمحذوف؛ فإنَّ الخبرَ لا يصْلُحُ إلّا له حقيقةً[5]، "وحَذفُ المُسنَدِ إليهِ في هذا المَقامِ استِعمَالٌ شائِعٌ عند العَربِ إذا ذَكَرُوا مَوصوفًا بأوصافٍ أو أخبارٍ جعلُوهُ كأنَّهُ

مبـاغتـةُ المخاطَبين بحجَّةٍ قاهرةٍ لا يُماري فيها إلَّا معانِدٌ مكابر

(1) جَبَل، المعجم الاشتقاقي المُؤصّل: (قضى).
(2) الزّبيدي، تَاج العَروس: (قضى).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (كن).
(4) المَرَاغي، تفسير المَرَاغِي: 1/200.
(5) السَّكّاكي، مفتاح العُلوم، ص: 17.

قد عُرِفَ للسَّامع"[1]، وهو قريبٌ من أسلوب قطع النُّعوت؛ لذلك لم يُعطف على السَّابق، فهو بيانٌ وتوضيحٌ لـمَا سَبَق، وهذا في غايةِ البراعةِ؛ لأنَّه كالحجَّةِ المباغتةِ للمفترين على الله، فكيف بمن يُبدِع السَّماوات والأرض أن يتَّخذَ ولدًا، وهو أمرٌ معلومٌ للمُخاطَبين، لا يجادِلُ فيه إلَّا مُكابِر.

معنى إضافةِ (بديع):

إضافة الصِّفةِ إلى ما كان فاعلًا في الأصـــلِ؛ لإفـادة معنى الغرابةِ الفائقةِ غيرَها حسنًا

"﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ من بابِ الصفةِ المُشبهة؛ أُضيفَتْ إلى منصوبِها الّذي كانَ فاعلاً في الأصلِ، والأصل: بديعٌ سماواتُه، أي: بَدُعَتْ؛ لمجيئِها على شكلٍ فائقٍ حسنٍ غريبٍ، ثمَّ شُبِّهَتْ هذه الصفةُ باسم الفاعل؛ فَنَصَبَتْ ما كان فاعلاً، ثم أُضِيفَتْ إليه تخفيفاً ... والبديع: الشّيء الغريبُ الفائقُ غيرَه حُسْناً"[2].

معنى ﴿وَإِذَا﴾ في سياقِها:

الإشـــارَةُ إلى أنَّ قـضاءَ الله وحُكمَه نافذٌ في الزَّمانِ كلِّه

﴿وَإِذَا﴾ في الأصلِ هي ظرفٌ لما يُستقبلُ من الزَّمان، متضمِّنٌ لمعنى الشرط، لكنَّها في الآية لا يُراد بها الزَّمنُ المُستقبلُ، "إذ كان ذلك إشارة إلى ما قبل وجود الزَّمان"[3]؛ فهي ليست على حقيقتها في الاستعمالِ اللّغويِّ، وفائدةُ استعمالِها في هذا السِّياقِ: الإشارةُ إلى أنَّ ما يُريدُه سبحانه يُنفّذُه بلا مُهلة في الماضي نصًّا أو في المستقبلِ إشارةً، فقضاؤه وحكمُه نافذٌ في مُطلَقِ الزَّمانِ.

سِرُّ التَّعبيرِ بـ﴿قَضَىٰٓ﴾ دون (حَكَمَ):

الإفـادةُ بتحقُّقِ الأمـــرِ بتمامه دون مُهلةٍ

أتَتِ الآيةُ بلفظِ ﴿قَضَىٰٓ﴾ دون مرادِفاتِها؛ لإفادةِ تحقُّقِ الشَّيءِ؛ فإنَّ مرْجعَ ﴿قَضَىٰٓ﴾ إلى انقطاعِ الشَّيءِ وتمامِه[4]، وهو اللَّفظُ الأنسبُ في هذا السِّياقِ، إذ صُدُورُ الأمرِ يقضي بتحقُّقِه بتمامِه بلا

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/313
(2) السَّمين، الدُّرّ المَصون: 2/85-86.
(3) الرّاغب، تفسير الرّاغب: 1/302.
(4) الأزهري، تهذيب اللّغة: (قضي).

مهلةٍ، و "أنّ ما قضاه من الأمور وأرادَ كونه، فإنّما يتكوّن ويدخل تحت الوجود من غير امتناعٍ ولا توقُّف"[1]، وهذا المعنى لا يتحقَّقُ في لفظِ (حَكَمَ)، فإنَّ الأخيرَ قائمٌ على صدورِ الحُكمِ بقطع النَّظرِ عن تحقُّقِه؛ وهذا في غالب الاستعمال.

توجيه القراءات:

القياسُ الإشاريُّ في حمل قراءةِ ابن عامرٍ على قراءةِ الجمهورِ

قرأ جمهورُ القرَّاء قولَه تعالى ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝١١٧﴾ برفعِ النّون في ﴿فَيَكُونُ﴾، وحجَّتُهم أنَّها معطوفةٌ على يقول، أو استئناف[2]، "و﴿كُن﴾ هي من (كان) التَّامة بمعنى أحدث فيحدث، وليس المرادُ به حقيقةَ أمر وامتثال، بل تمثيل حصول ما تعلّقت به إرادته بلا مهلةٍ بطاعةِ المأمور المطيع بلا توقُّف"[3]، فعلى قراءةِ الجمهورِ يكونُ المعنى: كنْ فكان، فهي إخبارٌ وإن جاءَتْ على صورةِ الأمرِ[4]، أي: قضاؤه الكونُ المتحقِّقُ وجودُه.

وقرأَ "ابنُ عَامر وَحده: ﴿كُن فَيَكُونَ﴾ بِنصب النُّون"[5]، أي: "نصب المضارع بـ(أن) مضمرة وجوبًا بعد فاء السببيَّة"[6]، على جعل ﴿كُن﴾ فعلَ أمرٍ على صورتِه المعهودةِ، وقراءتُه على معنى أنَّه إذا أمر بأمرٍ في المستقبلِ؛ فإنَّه يكونُ كما كان قضاؤه الحتميُّ في السَّابقِ؛ فقراءته محمولةٌ على القياس الإشاريِّ، أي: أنَّ أمرَه نافذٌ في المستقبلِ؛ لأنَّه نافذٌ في الماضي.

معنى القضَاءِ وتحقُّقِه:

تمثيلٌ لسرعةِ الوجُودِ بعد صُدُورِ الأمر

الظَّاهرُ أَنَّ القولَ والمَقُولَ والمُسَبَّبَ تمثيلٌ لسُرعة وُجُودِ الكائِناتِ عندَ تَعَلُّقِ الإرادةِ والقُدرَةِ بهمَا، بأَنْ شَبَّهَ فِعلَ اللَّهِ تعالى

(1) الزَّمخشريّ، الكشّاف: 1/315.
(2) ابن زنجلة، حُجّة القراءات، ص: 111.
(3) البَيضاويّ، أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل: 1/301.
(4) الفارسّي، الحجّة للقراء السّبعة: 2/205.
(5) ابن مُجاهد، السَّبعة، ص: 169.
(6) الفارضّي، شرح الإمام الفارضّي على ألفية ابن مالك: 3/549.

بتكوينِ شَيءٍ وحُصُولِ المُكَوَّنِ عَقِبَ ذلك بدُونِ مُهلَةٍ بتَوَجُّهِ الآمرِ للمأْمُورِ بكلِمةِ الأَمرِ، وحُصُولِ امتثالِهِ عَقِبَ ذلك؛ لأَنَّ تلك أقرَبُ الحالاتِ المُتَعارَفَةِ الَّتي يُمكِنُ التَّقريبُ بها في الأمورِ الَّتي لا تَتَّسِعُ اللُّغةُ للتَّعبيرِ عنها ... والَّذي يُعَيِّنُ كونَ هذا تَمثيلًا أَنَّهُ لا يُتَصَوَّرُ خطابُ مَنْ ليسَ بموجُودٍ بأَنْ يكونَ مَوجُودًا[1]، فيكون قولُه: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ مرادًا به "سُرعةُ نفاذِ قدرة اللّه في تكوين الأشياء"[2]، وفيه إثباتُ قدرته تعالى بتحقيق ما يريد بأوجز كلام.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/687-688.

(2) الرّازي، مَفاتيح الغيب: 4/26.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني، سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 2 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-53-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 2 : سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-53-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984852 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»